

## ورقة بعنوان

وسائل التواصل الاجتماعي تنهي عصورا من الاحتكار الإعلامي

### مقدمة لمؤتمر

وسائل التواصل الحديثة وأثرها على المجتمع

نظرة شرعية، اجتماعية، قانونية

الذي تنظمه كلية الشريعة في جامعة النجاح الوطنية

الخميس 2014/4/24

د. فريد أبوضهير

قسم الصحافة المكتوبة والإلكترونية

كلية الاقتصاد والعلوم الاجتماعية

جامعة النجاح الوطنية

### مقدمة

يقول العلماء أن الاتصال يهدف إلى التأثير. وهذا الأمر ينطبق على الأفراد والجماعات والمؤسسات. والتأثير هو الركيزة الأساسية لعملية الاتصال، حيث أن العملية بحد ذاتها تتخذ أشكالاً مختلفة، وفي كل الأحوال فإن التأثير هو جوهر المسألة. لقد ابتكر الإنسان وسائل شتى للتحكم بأخيه الإنسان، ومن ذلك السيطرة السياسية والنفوذ الاجتماعي، وقام بتشكيل البناء

الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، وتم استغلال هذه الهياكل من أجل التحكم. وفي نهاية المطاف، ظهر قادة وحكام قاموا بتوظيف كافة الإمكانيات للتحكم بالمجتمع.

لقد ساد النظام السلطوي لآلاف السنين في معظم مناطق العالم. واستخدم الإنسان وسائل وأساليب مختلفة للتحكم، منها العسكر، ومنها الاقتصاد (كما أشرنا آنفاً)، ومنها الاتصال. وقد مثلت وسائل الاتصال البدائية، مثل: المنادي، والشعراء، وغير ذلك من الوسائل، أدوات مهمة لتكريس حكم الفرد، ورفع شأنه، والحفاظ على مكانته، والحط من مناهضيه في الداخل والخارج.

استمر الحال في استخدام الوسائل البدائية لقرون طويلة، وسعى الإنسان لتطوير الأدوات التي يمكن من خلالها تكريس التحكم بالجمهور. وعمل في الوقت نفسه على قمع الحريات، ووضع كل العقبات أمام وصول المعلومات إلى الجمهور، والاستفادة من حالة الجهل لدى الناس من أجل فرض السيطرة عليهم. وكانت الكتابة والقراءة حكراً لقرون طويلة على الحكام والنبلاء والأغنياء وأبناء الطبقات العليا في المجتمع، فيما حُرِمَ منها عامة الناس، وعاشوا سنين حياتهم في الجهل والفقر والتخلف.

وقد استعرض فيليب تيلر (2000) استخدام الأنظمة والحكومات منذ فجر التاريخ وحتى النصف الثاني من القرن العشرين لوسائل الإعلام في الدعاية والاستعداد للحرب، وإلحاق الهزيمة بالطرف الآخر.

وبالرغم من المحاولات الكثيرة لتطوير وسائل الاتصال، إلا أن النجاح الكبير تحقق مع اختراع الطباعة، والتي كانت نواة ابتكار الصحافة بأشكالها المختلفة. لقد مثل اختراع الطباعة نقطة تحول تاريخية، وعلامة فارقة في انتشار القراءة والكتابة، كمقدمة لازمة لتطور المجتمعات على مختلف المستويات، الفكرية والعلمية. ورغم انتشار الوعي والتعليم، وما تبع ذلك من ثورات صناعية واجتماعية وعلمية، بدأت حركة فاعلة في العالم الغربي باتجاه تحقيق حرية الإنسان، وتحديد حرية التعبير التي تعد مظهراً مهماً من مظاهر الحريات السياسية. وتبع ذلك اختراع الراديو والسينما والتلفزيون، ورافق ذلك جدل حول حرية التعبير، ودور المجتمع في استخدام هذه الوسائل للتعبير عن نفسه.

هذا الجدل كان سببه شيئاً واحداً، هو احتكار قوى سياسية واقتصادية في العالم لهذه الوسائل الاتصالية. وكانت أدوات قوية وفعالة لتحقيق مصالحهم، ولتكريس تحكمهم في المجتمعات. فكان لا يُسمع إلا صوتٌ واحد هو صوت الأقياء والحكام والأغنياء. أما عشرات الملايين من الناس فكانوا يُحرمون من التعبير عن أنفسهم في هذه الوسائل.

لقد كان من البديهي أن لا تكون وسائل الإعلام ملكاً للشعب لأسباب كثيرة، منها وجود أنظمة سلطوية تمنع ذلك، ومنها عدم القدرة على تحقيق صيغة واضحة ومحددة للمشاركة الجماهيرية في وسائل الإعلام، وكذلك لإدارة هذه الوسائل، وجعلها وسيلة مستقلة تعبر بالفعل عن حاجات وتوجهات الجماهير.

وقد ذكر هيربرت شيلر (1999، ص7) أن القائمين على وسائل الإعلام (في أمريكا مثلاً) يُحكمون السيطرة على المعلومات، وأنهم يعملون على تحديد معتقدات الناس وسلوكهم، ويقومون بتضليل العقول، وهي (أي وسائل الإعلام) من "الأدوات التي تسعى النخبة من خلالها إلى تطويع الجماهير لأهدافها الخاصة".

### الإنترنت وحرية التعبير

لقد تحدث العلماء كثيراً عن حرية التعبير، وعن ضرورة انتزاع هذه الحرية من السلطة السياسية. وفي العالم الثالث، تزايدت الدعوات التي تطالب الحكام بمنح الشعوب حرية التعبير، وإفراح مجال أكبر للوسائل التقليدية لتقديم وجهات نظر متعددة ومتنوعة. وحذر العلماء من أن حرمان الشعوب والجماعات من حرية التعبير سوف يؤدي إلى هزات اجتماعية عنيفة، سببها حاجة الجماعات المختلفة إلى التعبير عن نفسها. فعندما لا تجد هذه الجماعات مساحات كافية لها للتعبير عن نفسها في وسائل الإعلام، فسوف تلجأ إلى أساليب عنيفة من أجل التغيير.

وقد امتد النقاش لقرون طويلة حول حرية التعبير، ودرجة هذه الحرية، واختلاف مستوى الحريات من دولة إلى أخرى. كما ساد الجدل أوساط علماء الاجتماع، وكذلك القانونيين، ورجال الدولة، ورجال الإعلام. وزخرت المكتبات بالدراسات والأبحاث والمؤلفات حول حرية التعبير، وما هي

المساحات التي يمكن أن تتيحها الحكومات، وتسمح بها وسائل الإعلام، وتمنحها القوى المتنفذة في المجتمع، للآراء المختلفة.

ورافق كل ذلك سنوات طويلة من الأخذ والرد في المجالات القانونية والسياسية، فضلا عن النظريات والفلسفات التي تحدثت عن حرية التعبير. وسقط دون ذلك ضحايا كانت مطالبهم تتمثل في انتزاع الحريات في التعبير، وقاوم ذلك بالطبع الحكام وقادة المجتمع ورجال المال والأعمال والقضاء، وغير ذلك من الجهات المستفيدة من قمع الحريات.

ولم يتخيل أحد من العلماء في الماضي أنه سيأتي زمن يتوصل فيه الإنسان إلى اختراع وسيلة اتصالية تتيح لكل فرد في العالم لكي يعبر عن نفسه في فضاء مفتوح. وقد جاء هذا اليوم مع اختراع الإنترنت، بل مع اختراع وسائل التواصل الاجتماعي، التي من خلالها تمكن كثيرون من إيصال أصواتهم إلى جماهير كثيرة في كل زاوية من زوايا العالم.

لقد فرض الإنترنت نفسه في فترة وجيزة على الحاكم والمحكوم، ووصل إلى كل بيت، وكل شخص على وجه المعمورة، حتى أصبح جزءا لا يتجزأ من حياة المليارات من الناس. ورافق كل ذلك تطورات مذهلة في الإنترنت، ابتداء من البريد الإلكتروني، ومرورا بمواقع التواصل الاجتماعي التي باتت وسيلة أساسية للتواصل لدى قطاعات واسعة من الناس، وانتهاء بظهور الأجهزة الذكية التي اختزلت العملية الاتصالية بما تحويه من تفاصيل وتشعبات، في جهاز صغير يُحمل في الجيب، ويتم الانتقال به من مكان إلى مكان، متجاوزا الحدود الوطنية والقومية. لقد كسر اختراع الإنترنت، ومن بعده تطور وسائل التواصل الاجتماعي، كل القيود. وأصبح نداء العلماء بضرورة تكريس حرية التعبير وراء ظهورنا في ظل الواقع الافتراضي الذي ظهر خلال فترة لا تتجاوز الربع قرن، وهي فترة انتشار الإنترنت عبر العالم. اليوم، ظهر جيل لم يعرف شيئا عن سنوات المعاناة والتضحية والبذل والفداء التي قدمها كثيرون عبر القرون الماضية لانتزاع حرية التعبير. فأصبح لدينا جيل لا يعرف للحرية حدودا، وهذا هو التحدي الجديد الذي يتناقض مع تحدي قمع الحريات الذي ساد في الماضي.

لقد جاء العصر الذهبي للإنسان الذي عانى طويلا من قمع الحريات، حيث توفر مجال مفتوح للتعبير عن نفسه من خلال الانترنت. فهو الذين كان عاجزا عن تحدي تكنولوجيا الاتصال،

وعن الخروج من قبضة السلطة السياسية خلال العصور الماضية، العصور الحجرية والبرونزية والحديدية، وحتى عصر الثورة الصناعية، والتطورات التكنولوجية في القرن العشرين. فما هو اليوم يمتلك الأدوات للتعبير عن نفسه. وما هو تحدٍ من نوع جديد يظهر، هو تحدي المضمون. المواطن دخل سوقاً حرة مفتوحة، وعليه أن يُقدم "بضاعته" الجيدة، وينافس ما هو موجود على الساحة العالمية من مواد مختلفة ومتنوعة ومتفاوتة في الجودة، ومتفاوتة في التعاطي مع احتياجات الإنسان. ولكن لغاية الآن لم يحصل تطور ملموس في هذا المجال على صعيد العالم العربي بشكل خاص، والعالم الثالث بشكل عام.

### التحدي الجديد

أصبح "المرسل" وجهاً لوجه أمام المواطن الذي يتطلع إلى مضمون يلبي له احتياجاته، ويوفر له ما حُرِّم منه طيلة قرون سابقة. فمثلاً، حُرِّم أصحاب رسالة الإسلام من التعبير عن أنفسهم في وسائل الإعلام التقليدية، اللهم إلا من الحديث في أمور دينية بحتة، منفصلة عن البُعد الاجتماعي والثقافي والسياسي، وبما لا يتعارض مع سياسات الدولة، وتوجهات الحكام، ومصالح أصحاب المصالح العليا في البلاد. فكانت الرسالة "الدينية" لا طعم ولا لون ولا رائحة لها، مجردة من أي بُعد ذي تأثير في المجتمع. وما هو الإنترنت يفتح لجميع المسلمين الباب واسعاً للتعبير عن أنفسهم، وعن أفكارهم وعقائدهم، فهل تمكنوا من توظيف هذه الوسيلة لنشر دعوة الإسلام؟ وهل تمكنوا من تقديم حلول للناس بشكل عام، وللمسلمين بشكل خاص، الذين يعيشون واقعا مريراً في بلدانهم؟

لا شك أن هناك جهوداً كبيرة في هذا المجال، ولا شك أن قوى كثيرة، منها القوى الإسلامية، حركت المياه الراكدة. وهذا يؤكد ما ذهب العلماء من أن ظهور وسائل اتصالية جديدة يشكل بداية لتحولات إنسانية واجتماعية، وذلك بسبب التغيرات التي تطرأ على نقل المعلومات والأفكار، والتفاعل الذي يحدث نتيجة لذلك، ودرجة الوعي التي تنشأ بعد ذلك. وما يحدث في الوطن العربي في الوقت الراهن لهو دليل ساطع على ذلك.

## المرسل والرسالة المتميزة

من المهم في ظل هذه التطورات المتسارعة في عالم الاتصال، وضع تصورات تواكب هذه التطورات لاستخدامات مواقع التواصل الاجتماعي (على وجه الخصوص) لبناء مجتمع مسلم يعرف دينه معرفة جيدة، ولتغيير سلوكيات الإنسان بما يتفق مع الإسلام، ولبناء مجتمع مسلم مهيء لحكم الإسلام، ومتعايش مع المجتمعات الأخرى في العالم، ومستوعب للاختلافات السائدة في مجتمعاتنا الإسلامية. وهذا الأمر يحتاج إلى تطوير الفكر الإسلامي، أو إن شئت قل، تطوير وعي الإنسان بهذا الفكر.

وتتمثل التحديات أمام استخدام الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي في توصيل رسالة الإسلام فيما يلي:

1- من المهم أن ندرك أن نقص الوعي هو أول التحديات. فمجال الإنترنت كشف نقصا حادا لدى الكثير من أبناء الأمة الإسلامية في الوعي والإدراك حول قضايا أساسية في الدين، وكذلك حول معالجة الإسلام لقضايا العصر. فمثلا، ظهرت مواقع كثيرة، وصفحات لأفراد متفاوتين في علمهم الديني، تنشر أحاديث ضعيفة، وكلاما في الدين لا يخدم قضايا الإسلام. أما فيما يتعلق بمعالجة الدين لقضايا العصر، فقد ظهرت صفحات كثيرة استخدمت الدين لتبرير المواقف، ولحشد الآراء لصالح جهات وتيارات بعينها. إن الإنترنت كشف ضحالة الوعي لدى قطاعات واسعة من المسلمين في جوانب كثيرة من الدين، وكشف كذلك أن هناك حاجة كبيرة لمزيد من الدراسات والأبحاث في مجال معالجة الإسلام لقضايا العصر. وبالطبع، فإن هذه الوسيلة مفتوحة لكل الناس، وهذا يعني أن المواطن البسيط يحتاج إلى رفع درجة الوعي لديه، الأمر الذي يفرض توسيع هامش التربية والتعليم والتوعية في الدين من قبل العلماء والفقهاء ومدارس العلم. وبالطبع، فإن الإنترنت سيمثل منبرا مهما لتحقيق ذلك، ويمكن استخدامه بشكل أمثل لنشر الوعي، وتوسيع دائرة الدعوة إلى الله، وتعميق فهم الناس بالإسلام. ولكن المؤسف أن ذلك لا يتحقق، لأسباب سنذكرها لاحقا.

2- من التحديات أيضا أن هناك عداء كبيرا للإسلام في العالم. إن هناك قوى تتفق أموالا طائلة "ليصدوا عن سبيل الله". فقد فتح الإنترنت بابا واسعا أمام كافة التيارات والأفكار

والعقائد لك تتلاقى وتتصارع، وتتناقش، وهو أمر ليس بمألوف في التاريخ العربي والإسلامي. حرية التعبير، وحرية النقاش، وحرية الكلمة لم تكن جزءا من النظام العربي والإسلامي على مر التاريخ بالمفهوم المتعارف عليه في العصر الحديث. ولذلك، اختلف الباحثون المسلمون في قضايا الحريات، وهو باب واسع يتعذر علينا الخوض فيه في هذه الورقة.

ولكن الأمر المهم هو أن حملة رسالة الإسلام يواجهون تيارات فكرية متعددة حاليا من خلال الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي. وهو أمر ليس بجديد، ولكن الجديد فيه هو الوسيلة، ومساحات الانتشار للنقاش والحوار، وكذلك دخول المثقفين والناس العاديين والجهلاء وغيرهم إلى هذه الساحة، الأمر الذي خلق بلبلة، وخط الحابل بالنابل، وأدى إلى اتساع الشقة بين أصحاب الفكر الإسلامي وأصحاب الأفكار الأخرى، فضلا عن أنه شتت أفكار الكثير من الناس.

هذا التحدي لم يكن سهلا على أصحاب الفكر الإسلامي، بل إنه شكل عقبة كأداء أمام نشر رسالة الإسلام، ونشر الوعي بهذا الدين. وما زال الطريق مفتوحا أمام البحث عن حلول لهذه المشكلة، علما بأن أنصار الأفكار المعادية للإسلام قد يحصلون على تمويل ودعم ومساندة من جهات كثيرة تترصد بهذا الدين<sup>1</sup>.

وهذا يعني أن هذا التحدي يُقسم إلى قسمين: الأول يتمثل في وجود خطر داخلي من خلال معاداة تيارات فكرية من داخل الأمة الإسلامية، يحملون فلسفات مناقضة للإسلام، والثاني يتمثل في الخطر الخارجي، وهو الذي يُغذي تلك التيارات الداخلية، ولا يتردد في إعلان عداوته للإسلام بطرق وأشكال مختلفة.

إنه من المؤسف القول أن هناك من يسيء إلى الدين من المسلمين، من خلال نشر أفكار غريبة، وآراء تستند إلى أدلة ضعيفة أو موضوعية، وأساليب تنفر الناس من الدين، والتشدد في غير موقعه، ونشر فتاوى وآراء شاذة. وبالطبع، تجد هذه الأمور من يتلقفها من أعداء الدين، أو المتربصين به، ويقومون بنشرها وتعميمها عبر مواقع التواصل

---

<sup>1</sup>يشير عبد الملك الدناني (2001، ص76) إلى أن التحولات التكنولوجية في الاتصال مكنت العالم الغربي من بث ثقافته عبر القارات، وهو ما يدل على ضعف العالم الثالث في مواجهة القدرات الغربية في هذا المجال.

الاجتماعي بهدف تغيير الناس من الدين ومن حملة رسالة الإسلام، ويجدون صدى  
واسعا لحملاهم المشككة بالدين.

ولنتخيل كم تحتاج مواجهة هذه التحديات من وعي وإدراك وحكمة وتخطيط من  
قبل أبناء الإسلام، كل في موقعه. هذا فضلا عن الحاجة ربما إلى تمويل لبعض الجهود  
التي تحتاج إلى عمل مؤسسي مدروس وموجه.

3- من الأمور المهمة في العقبات هو صعوبة إدراك طبيعة الوسيلة. وهذه الصعوبة عامة،  
وليس مقتصرة على فئة معينة من الناس. وما زال مستخدمو الإنترنت يتعلمون كيفية  
استخدامه، ويستكشفون طرائق الاستخدام، لأنه يتيح مجالات وخيارات متعددة وواسعة،  
الأمر الذي يمنح المستخدم المجال لتطوير الاستخدام، ويعطيه الفرصة لتطوير فنون  
الاستخدام.

ولا بد من الإشارة إلى أننا نقوم في العادة بإسقاط تجاربنا التقليدية على الإنترنت  
ووسائل التواصل الاجتماعي، ولا نوسع من أفقنا في تطوير الاستخدامات. ولكن مع  
الأيام، ومع التجارب، يتم تطوير الاستخدام، خاصة وأن جمهور الإنترنت لديه ميل  
وخيارات من المهم أن ندركها إذا أردنا الوصول له، والتأثير عليه.

#### إيجابيات الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي

إن أهم إيجابية للإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي بشكل خاص أنه كسر احتكار الكلمة  
والتعبير الذي استمر قرونا طويلة، وفتح المجال لكل فرد لكي يتواصل مع الناس في أي مكان  
في العالم، متجاوزا الحدود الجغرافية والسياسية والثقافية. وقفز على كل المحاولات التي استمرت  
خلال تلك الفترات لانتزاع حرية التعبير، والحد من تحكم السلطات بحرية نقل المعلومات والأفكار  
وتواصل الناس.

وقد ذكر سليمان صالح (2002، ص34) أن "التكنولوجيا الاتصالية الجديدة توفر بيئة اتصالية  
يتمكن فيها أي فرد من الاتصال بأي فرد في أي وقت وفي أي مكان"، وأن النموذج "من مرسل  
إلى جمهور" قد تغير إلى "من جمهور إلى جمهور..". وحولت القوة إلى أيدي الناس، الأمر الذي



وضع كل فرد في موقع المرسل وفي موقع المستقبل في آن واحد، منحتم النفوذ الذي كان حكرا على ملاك الوسائل الإعلامية، ومن خلفهم أصحاب السلطة السياسية.

وبالطبع، لا يخلو الانترنت، ولا تخلو مواقع التواصل الاجتماعي من سلبيات. بل إن العلماء المعاصرين يتحدثون عن سلبيات قد تكون لها آثار مدمرة في بعض الجوانب، منها نشر المضامين الإباحية والمواد الهدامة التي تتال من الفكر الإنساني الرفيع، وتحط من قدر الإنسان. ومنها أيضا استغلال الكثيرين لهذه الوسائل بهدف الإضرار بالناس، من أعمال تخريبية، وتجارة للمخدرات، وتجارة للجنس، وغير ذلك من الأمور.

ولكن، أليس ذلك هو من طبائع الأمور؟ صحيح أن الإنترنت فتح المجال بشكل أوسع بكثير مما كان عليه الأمر في الماضي، إلا أن عملية "التدافع" هي أصل في الحياة، ولا بد من التدافع لكي يصل الناس إلى قواسم مشتركة للعيش المشترك. وبهذا، يتعلم الناس كيف يتفاعلون مع بعضهم البعض، وكيف يتعايشون، وكيف يرتقون بأساليب التواصل والسعي إلى الوصول إلى حلول مشتركة لمشكلاتهم.

وفي السطور التالية نستعرض عددا محدودا من الإيجابيات التي أتاحتها الإنترنت، وأتاحها مواقع التواصل الاجتماعي، وهي مدخل ذكرها كثير من العلماء في محاولاتهم لسبر أغوار هذه الوسيلة التي مثلت محطة أساسية للتغيير في حياة البشرية<sup>2</sup>.

1- التنوع. فقد تجسدت فكرة التنوع لأول مرة في التاريخ من خلال الإنترنت، وكان لمواقع التواصل الاجتماعي الفضل الكبير في وضع هذا التنوع في شبكات العلاقات الإنسانية، بحيث حوت كل أشكال الفكر والميول والمعلومات والرغبات.

والتنوع، كما يرى العلماء، ضروري لحياة البشر، لكي تتم ترجمة مبدأ إعمال العقل البشري في الاختيار والوصول إلى الحلول للمشكلات، الحلول التي يتفق عليها غالبية الناس. واعتبر العلماء أن غياب التنوع هو ظلم للإنسان، وحرمان له من التعرف على الخيارات المختلفة لحل مشاكله في الحياة. ولذلك، وضع الإنترنت ومواقع التواصل

---

<sup>2</sup>ذكر العلماء أن التطورات التي تحدث في وسائل الاتصال تتبعها تغيرات في مختلف مناحي حياة الإنسان، الفكرية والسياسية والاجتماعية والثقافية. (ديفلير، ملفين، 1993، ص323)

الاجتماعي الإنسان لأول مرة أمام جميع الخيارات، وأعطاه المجال الكامل للتفكير والبحث عن الحلول المناسبة لمشكلاته.

والتنوع، برأيي، هو المدخل لتجسيد الحريات السياسية والاجتماعية في إطار الضوابط التي يتفق عليها الناس. وهو مدخل أيضا لتقديم "البضاعة الجيدة"، حيث أن الإنسان يبحث دوما عن النوعية وعن الأفكار التي تخرجه من الشقاء إلى السعادة، ومن الظلم إلى العدل، ومن الفقر إلى الغنى، ومن المرض إلى الصحة. وهي فرصة لأصحاب الفكر السوي، وأصحاب الرسالة السامية لكي يقدموا رسالتهم وفكرتهم إلى الناس. وهذا بالطبع يحتاج إلى وعي وعمل وفن وإخلاص.

2- السهولة. أصبح العالم اليوم بين يدي كل مواطن على وجه الأرض، من خلال أجهزة الهاتف الذكية، وأجهزة الحاسوب المحمولة، وشبكة الإنترنت التي ربط كل شيء بكل شيء. المعلومات متوفرة للناس بشكل سلس، ومحركات البحث يسرت هذا الأمر بالصوت والصورة والكتابة، والتواصل أصبح ميسرا، وأساليب عرض المعلومات والصور باتت في متناول أيدي الجميع. (ريديك، راندي، وكينغ، إليوت، 2009، ص251) بالأمس القريب كان يقوم بجمع المعلومات أشخاص متخصصون في المجال الإعلامي، وكانت إعداد المادة الإعلامية، ولا زالت، تتطلب جهدا كبيرا من هؤلاء. ولكن في عصر الإنترنت أصبح بإمكان المواطن البسيط نقل الصورة والصوت والكلمة بسرعة ويسر إلى مواقع التواصل الاجتماعي، بحيث يقوم هؤلاء بتداول المعلومات ونقلها إلى أقاصي الأرض خلال دقائق معدودة.

هذه السهولة حولت مسار التحدي من ضرورة وجود إعلاميين متخصصين، إلى قدرة كل فرد على صنع الرسالة، ومن أهمية امتلاك وسائل اتصال معقدة، إلى استخدام أجهزة بسيطة متوافر في كل منزل، بل في يد كل إنسان، ومن خضوع لقوانين وأنظمة تضعها الدولة، إلى وسائل متحررة من تلك القيود، ومن صعوبات جمة للوصول إلى مناطق بعيدة، إلى قدرة فائقة على الوصول إلى أقصى مكان على وجه الأرض، وإلى درجة مخاطبة الشعوب الأخرى. فماذا تبقى من أسباب لعدم قيام المسلمين بواجب توصيل رسالة الإسلام؟

3- الحرية. يجادل البعض في أن الإنترنت هو مجال ليس حراً، وأن أجهزة المخابرات في العالم تراقبه وتحاسب مستخدميه على أنشطتهم ورسائلهم التي تعبر هذا الفضاء. ويستدلون على ذلك بأمثلة من الواقع، مثل قيام أجهزة المخابرات باعتقال أشخاص أرسلوا رسائل، أو تواصلوا عبر الإنترنت. (نصر، 2003، ص243) وهذا صحيح بالطبع. ولكن المهم هنا هو مقارنة درجة الحرية التي كان يتمتع بها المواطن قبل ظهور وانتشار هذه الوسيلة الفريدة، بواقع الحريات بعد انتشارها.

لقد كان بإمكان الحكومات مراقبة وسائل الإعلام بشكل أكبر بكثير من قدرتها على مراقبة الإنترنت في الوقت الحالي، وإن كانت الرقابة ما زالت مستمرة. كما أن القوانين التي قيدت الإعلام طيلة قرون مضت، لم تعد وسيلة فعالة لمراقبة الإنترنت. فإشياء المواقع الالكترونية لا يحتاج إلى ترخيص، وقيام الأفراد بإنشاء الصفحات والمجموعات على الفيس بوك هو أمر يتم بمنتهى الحرية دون تدخل من أحد. ويخضع كل ذلك إلى شروط ميسرة جداً مقارنة بما كان يحدث في الماضي. والرقابة تتم على المضامين التي تسيء إلى الأفكار أو الأشخاص أو تهدد المجتمعات. ويتم ذلك بوسائل متعددة، لا مجال لذكرها هنا<sup>3</sup>.

إن هامش الحرية في الإنترنت لا يمكن مقارنته بالهامش الذي كان متاحاً للإعلام التقليدي، وقدرة الحكومات على مراقبة كل كبيرة وصغيرة على الإنترنت محدودة مقارنة بما كان يحدث من ملاحقة للصحفيين ووسائل الإعلام. وهذا يُعد تطوراً هائلاً لمجال الحرية في توصيل الكلمة والتواصل مع الناس ينبغي استخدامه بذكاء وحكمة ودراية في نشر رسالة الإسلام.

4- الوسائط المتعددة. فقد وفر الإنترنت كما ذكرنا الإمكانيات لتقديم الرسالة بأشكال مختلفة، بالصورة والصوت والكلمة المكتوبة، ووفر استخدام الفنون المختلفة من دراما وأغنية ونكتة ورسوم متحركة، فضلاً عن الأساليب الجادة التقليدية في الخطاب. وهذا

<sup>3</sup> ذكر سليمان صالح (2002، ص174) مفهوم السيادة الإعلامية الذي استخدم في الوطن العربي لعقود طويلة، والذي يعني "تحكم الحكومة في الرسائل التي تصل إلى المواطنين داخل الدولة، وحماية حدود الدولة إعلامياً من تدفق الرسائل الإعلامية الخارجية.. وبهذا المعنى يصبح هذا المفهوم خارج سياق العصر، ويصبح مفهومات غير واقعي ولا يمكن تحقيقه."

كله يرفع من قدرة الإنسان على الإبداع والقدرة على التأثير. وأصبح الجمهور ينتظر الاطلاع على الأساليب المميزة في تقديم الفكرة.

وقد نجح كثيرون في ذلك، وما زال الباب مفتوحاً لإبداعات الشباب في مخاطبة الناس، وفي التصدي للأفكار الهدامة والمعادية، وفي رفع شأن الدين وترسيخ مبادئه في عقول الناس وقلوبهم.

5- التواصل والتعرف على حاجات الجمهور. الإنترنت، ومواقع التواصل الاجتماعي كشف الكثير من القضايا والمشاكل التي يعاني منها الإنسان، والتي تكمن الحلول لها في الإسلام. وهي فرصة ذهبية بالفعل لكي يتعرف الدعاة على تلك المشاكل، وأن يقدموا الحلول بطرق إبداعية، وبفهم عميق للإسلام، وبقدرة فائقة على تقديم رسالة الإسلام بما يتلاءم مع العصر.

إن الإنسان متعطش للخير والعدالة والحق، ومتعطش للدين الذي يقدم له الحلول، وبخاصة في واقع بات يعج بالأفكار المادية، ويغرق في مشاكل العصر البعيدة كل البعد عن القيم الروحية. الإنسان متعطش لكي يستريح من كبد الحياة، ومن التحديات المتزايدة على مستوى الفرد والمجتمع. فالحق أبلج لا يحتاج إلى الكثير من الجهد، لأن النفوس فطرت على الخير. وسيجد أنصار الحق والدين قبولاً واسعاً من قبل الجماهير التي حيل بينها وبين الدين، وتم إبعادها قسراً عن الدين القويم.

إن الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي يمثل فرصة ذهبية في الانفتاح على الآخر، وهذا الانفتاح هو غاية من غايات الإسلام. والغلبة تكون بالحجة والاقناع، وليس بالتهديد والوعيد، ولا بالسيف والدم. وهذا الأمر يفرض ضرورة رفع مستوى قدرات المحاورين، وتمكين الناس من المجادلة بالحجة، والتي هي أحسن، والرفق بالبشر، وعدم الدخول في عراك على قضايا جانبية، إلى غير ذلك من الأمور التي ينبغي دراستها بعناية.

إن وسائل التواصل الاجتماعي هي وسيلة ما زالت في بداياتها، وتحتاج إلى الكثير من البحث والدراسة والتمعن، كما تحتاج إلى تطوير قدرات المستخدمين لكي لا يقعوا في شرك السلبيات التي قد تكون لها آثار مدمرة.

فلا بد من بناء جيل واع من خلال هذه الوسائل التي هي من أكبر النعم التي أنعم الله بها علينا في العصر الحديث. وعلينا أن ندرك أن هناك خيرا كبيرا لدى الناس، ولا يجوز لنا أن نفترض أننا نحن فقط من يحرص على هذا الدين، وأننا نحن فقط من سيحمل رايته، وأن الناس منفضين عن الإسلام. بل إن من بين هؤلاء الذين هجروا دينهم، من يمكن أن يكون من حملة رايته، إذا استطعنا الوصول إليه من خلال وسيلة، كالفيس بوك مثلا.

لقد ظن كثير من الناس أن المشكلة الوحيدة التي تقف دون توصيل رسالة الإسلام إلى الناس هي الحكومات والتيارات المعادية، فاكتشفنا أن المشكلة هي أعقد من ذلك بكثير. فما هي الأسوار العالية التي كانت تمنع وصول رسالة الإسلام إلى الناس تنهار، وما هو الطريق يُفتح أمام رسالة الإسلام لكي تصل إلى كل الناس، ومع ذلك، فإن الطريق ما زال غير ممهد. واكتشفنا كم هي المهمة شاقة، وكم هو الطريق وعر، وكم نحن بحاجة إلى أن ننهض بأنفسنا لكي نستطيع مواجهة الرياح العاتية التي تعصف بالناس، وتحول بينهم وبين دينهم.

ولكن الطريق ما زال مفتوحا، والأمل بشبابنا كبيرا بأن يقدموا إبداعاتهم، ويعملوا على إيصال رسالة الدين إلى الناس، وأن يضيئوا شمعة الأمل، في عالم بات يغرق في ظلام اليأس والضياع.

## المراجع

- تايلور، تايلور (2000)، (ترجمة سامي خشبة)، قصف العقول: الدعاية للحرب منذ العالم القديم حتى العصر النووي، عالم المعرفة، الكويت.
- جريبير، دوريس إيه (محرر) (1998)، سلطة وسائط الإعلام في السياسة، دار البشير، الأردن.
- ريديك، راندي، وكينغ، إليوت (2009) (ترجمة يحيى، لميس)، صحفي الإنترنت: استخدام شبكة الإنترنت وموارد إلكترونية أخرى، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان.
- الدناني، عبد الملك (2001)، الوظيفة الإعلامية لشبكة الإنترنت: دراسة لمعرفة استخداماتها في مجال الإعلام، دار الراتب الجامعية، بيروت.
- ديفلير، ملفين (1993)، (ترجمة عبد الرؤوف، كمال)، نظريات وسائل الإعلام، الدار الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة.
- شيللر، هيربرت أ. (1999)، (ترجمة عبد السلام رضوان)، المتلاعبون بالعقول، الإصدار الثاني، عالم المعرفة (سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب)، الكويت.
- نصر، حسني محمد (2003)، الانترنت والإعلام: الصحافة الالكترونية، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت.